

محاضرة (الأدب الأندلسي) / المرحلة الثالثة / أعتها الدكتور علي مطشر نعيمة

رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد :

مؤلف رسالة التوابع والزوابع :

هو الأديب أبو عامر بن عبد الملك بن شهيد ، وُلِدَ في قرطبة عام ٣٨٢ هـ من أسرة غنية تدرّجت في مناصب الوزارة ، توفي في قرطبة عام ٤٢٦ هـ ، ابن شهيد شاعر كبير له ديوان شعري حققه يعقوب زكي وطُبِعَ في القاهرة ، وهو كاتب مشهور له مجموعة من الرسائل أشهرها رسالة التوابع والزوابع .

توثيق رسالة التوابع والزوابع :

وصلت إلينا رسالة التوابع والزوابع عن طريق مصدر واحد هو كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الذي انفرد بذكر فصول منها ، وقد قام بطرس البستاني بتصحيح نصوص الرسالة وشرحها وتبويبها وتحقيقها ، وطُبِعَ هذا التحقيق في بيروت عام ١٩٦٦ تحت عنوان رسالة التوابع والزوابع .

مفهوم التوابع والزوابع :

التوابع في اللغة جمع تابع وتابعة ومعناها في المعجمات اللغوية الجني والجنية اللذان يكونان مع الإنسان يتبعانه حيثما ذهب ، والزوابع جمع زوبعة وتعني اسم للشيطان ، وفي الاصطلاح الأدبي تعني التوابع والزوابع تسمية أطلقها ابن شهيد على رحلة خيالية كتبها ابن شهيد متصوراً نفسه في رحلة خيالية مع جني يُسميه زهير بن نمير يرحل به إلى أرض الجن حيث يلتقي هناك بتوابع الشعراء والكتاب ممكن سبقوه يجري معهم محاورات ومناظرات أدبية على لسان توابعهم فينتزع إعجابهم بعد أن يُسمعهم أمثلة من شعره ونثره .

أجزاء الرسالة :

١ - المقدمة :

خصّص ابن شهيد مقدمة رسالته لتكون مدخلا يعلل به رحلته إلى عالم الجن ، فقد أورد على لسان الكاتب أبي بكر بن حزم إعجابه ببراعة ابن شهيد الشعرية على صغر سنه إذ عزاها إلى تابعة تُنجده وزوبعة تؤيده لأنّ تلك الشاعرية ليست في قدرة البشر .

٢ - الفصل الأول :

التقى فيه ابن شهيد بتوابع الشعراء مثل شعراء الجاهلية : امرئ القيس وطرفة بن العبد وشعراء العصر العباسي : البحتري وأبي تمام والمنتبي .

٣ - الفصل الثاني :

التقى فيه ابن شهيد بتوابع الكتاب مثل : الجاحظ وعبد الحميد الكاتب وبيدع الزمان الهمذاني .

٤ - الفصل الثالث : تحدث فيه ابن شهيد عن مشكلة أخذ المعنى الواحد وتداوله بين الشعراء .

٥ - الفصل الرابع : يتألف من مشهدي : المشهد الأول يلتقي فيه بقطيع من حمر الجن وبغالهم يحتكمون إليه في قصيدتين لبغل وحمار فيحكم بينهما ، وفي المشهد الثاني يقف على بركة ماء يتحدث مع إوزة بيضاء يصف لنا جمالها وحركتها وحسن سباحتها .

مصادر رسالة التوابع والزوابع :

استوحى ابن شهيد فكرة رسالته من أمرين هما :

١ - حادثة الإسراء والمعراج .

٢ - التراث الشعري المتعلق بإيمان الشعراء الجاهليين بالشياطين التي تُعينهم على نظم الشعر كما في قول الشاعر أبي النجم العجلي :

إنّي وكلُّ شاعرٍ من البشرُ شيطانُهُ أنثى وشيطاني ذكْرُ

القيمة الأدبية لرسالة التوابع والزوابع :

١ - يمثل مضمون الرسالة فكرةً جديدةً في مجال الرسائل الأدبية .

٢ - أسلوبها الأدبي المميز في مزج النثر بالشعر بأسلوب قصصي يتضمن أدب الحوار والمساجلة واستنطاق الجماد والحيوان مع طرائف وفكاهة .

٣ - تمثلت الناحية النقدية للرسالة في محاولة إثبات البراعة والتفوق لأهل الأندلس ، وإثبات إمكانية اجتماع النثر والشعر والبراعة فيهما لدى أديب واحد .

المأخذ على التوابع و الزوابع :

يؤخذ على مؤلف الرسالة أنه تجاهل اللقاء بتوابع الأدباء من الأندلسيين وهذا شكل من أشكال القمع الأدبي الذي عانى منه المؤلف نفسه فكتب رسالته هذه للرد على من قمعه حقه في التميز بين أدباء عصره .

التشابه بين رسالة التوابع والزوابع ورسالة الغفران للمعري :

١ - تمثل الرسالتان رحلة إلى عالم خيالي .

٢ - عرضت الرسالتان مشكلات أدبية بأسلوب قصصي .

الاختلاف بين رسالة التوابع والزوابع ورسالة الغفران للمعري :

١ - التوابع والزوابع رحلة خيالية إلى عالم الجن ورسالة الغفران رحلة خيالية إلى عالم الآخرة

٢ - ألّف ابن شهيد رسالته على الأرجح عام ٤١٥ هـ ، وألّف المعري رسالته عام ٤٢٤ هـ .

٣ - مؤلف رسالة التوابع والزوابع أديب أندلسي هو ابن شهيد ، ومؤلف رسالة الغفران أديب عباسي هو أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) .

شخصيات الرسالة :

يمكن تقسيم الشخصيات في رسالة التوابع و الزوابع على وفق ما يأتي :

أولا : الشخصيات الرئيسية وهي : المؤلف الكاتب ابن شهيد ، الجني زهير بن نمير . توابع الشعراء و الكتاب والنقاد .

ثانيا : الشخصيات الثانوية : أبو بكر ابن حزم صديق ابن شهيد ، الفتاة التي عشقها ابن شهيد وحاول أن يرثيها ، شيخ الجن ، بعض الحيوانات التي تمثل رمزا لشخصيات واقعية أندلسية .

ملاحظة : جاء تقسيم الشخصيات على أساس مساحة حضورها في الرسالة وإلا فإن بعض الشخصيات الثانوية تعد باعنا مهما للسرد في الرسالة و سببا في كتابتها مثل أبي بكر ابن حزم فلولاها لمن كتب الكاتب رسالته ومثل الفتاة التي عشقها المؤلف كان العجز عن رثائها سببا في اللقاء بين الكاتب والجني زهير بن نمير .

دلالات عنوان الرسالة :

١ - يحمل العنوان في صيغته التركيبية الدالة على الثبات و الاستمرارية دلالة ثبات الكاتب على مواقف معينة أمام بعض الخصوم .

٢ - استنادا إلى المعاني اللغوية اللفظية التوابع والزوابع نستشعر أنّ لفظة التوابع تستبطن رغبة ملحّة عند الكاتب في التعالي والتميز ليصبح في موضع تأثير في الآخر فيتبع أثره ، لذلك جاءت لفظة التوابع بصيغة جمع التكسير لتوظف كل القوى التي توصل الكاتب إلى حيث يرنو من السمو والرفعة ، وتحمل لفظة الزوابع دلالات الرغبة الكبيرة في التغيير ، والتملك ، وفرض النفوذ .

الحضور الأندلسي في الرسالة :

١ - النصوص الشعرية والنثرية لابن شهيد .

٢ - الآراء النقدية لابن شهيد .

٣ - ذوق المؤلف في اختيار النصوص المشرقية لمعارضتها بنصوص أدبيه له .

٤ - بعض الشخصيات الأدبية الأندلسية .